ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 02، 2022

نقد التقنية في الخطاب النقدي للحداثة- هوسرل، هايدغر أنموذجا-

Criticism of technology in the critical discourse of modernity - Husserl, Heidegger as an example

مصطفى الشيخ ابراهيم*
Mostafa Cheikh Brahim
mostafa.cheikhbrahim@yahoo.fr
فلسفة — جامعة وهران2 محمد بن احمد- الجزائر

أنور حمادى Anwar Hamada
anwarphilo@gmail.com
فلسفة — جامعة وهران2 محمد بن احمد- الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/09/01 | تاريخ القبول: 2021/12/27 | تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص: تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن جوانب التحليل والنقد لسؤال التقنية وفق التصور النقدي لدى هوسرل وهايدغر، انطلاقاً من اعتبار حضورهما واسهامهما النقدي أساسي ومرجعي في سلسلة الخطابات النقدية لمشروع الحداثة، وهي تحاول استظهار معالم هذا النقد لديهما بالوقوف على لحظة الأزمة في مشروع الحداثة ومدى اسهام التقنية كسبب أساسي من مسببات الأزمة ومدى تأثيرها في خطاب الحداثة وعلى الذات الإنسانية وفي المعيش اليومي،عبر استحضار تجليات التقنية وتأثيراتها في شتى المناحي خاصةً في ظل المفارقة التي تعود فيها قيم الحداثة لتنقلب بتأثير عكسي وهي التي تُعلي شِعار العقل والتقدم، فعلى إثر التصالح بين العلم والتقنية تحت غطاء العقلانية الأداتية غدت هذه الأخيرة أداة للسيطرة والقمع، في ظل ذلك تستهدف فلسفة هوسرل وهايدغر عبر فيمنولوجيا نقدية لتشخيص أزمة الحداثة ونقد أشكالها ومسبباتها و سبل تجاوزها بالدعوة إلى تحرر العقل وبعث قواه النقدية والتحررية ودعوته للعلب أدواره التاريخية بوصفه المركز الذي تعود إليه كل القيم.

الكلمات المفتاحية: الحداثة؛ الأزمة؛ التقنية؛ النقد؛ السيطرة.

Abstract: This research paper attempts to reveal the aspects of analysis and criticism of the question of technology according to the critical perception of Husserl and Heidegger, based on the consideration of their presence and critical contribution as essential and reference in the critical discourse of modernity. Modernity, the human self and daily living, so we try, through a critical analytical method, to stand on Husserl and Heidegger's criticism of

* المؤلف المرسل: bendaha.hakim@univ-oran2.dz

technology and its impact on the emergence of the crisis, through the moments of diagnosis and transcendence, especially in light of their adoption of phenology as a critical method .

Keywords: modernity ; crisis ; technology ; criticism ; control

1.مقدمة:

تمثل الحداثة Modernité وبما هي حركة فلسفية فاعلة وغنية ومشروع فكري زاخر بالقيم والمبادئ، تمثل ذلك التحول الجذري والنوعي الذي شمل طبع اعتبارات عدة وعلى أصعدة مختلفة، فكرية وعلمية وثقافية، هذا التغير مهدت له جملة من الإرهاصات شهدت من خلاله أوربا مخاضات في شتى المجالات وبالأخص فكرياً أين تم الإعلان عن القطيعة مع التراث الفكري القديم ورفض كل أشكال الوصاية الفكرية وإعلاء قيم التحرر.العقل والتقدم، ولعلَّ أبرز سِمات هذا التحول ما شهده العلم من تحولات بفعل القطائع الإبستيمولجية التي أحدثتها مع نمط المعرفة التقليدي القابع تحت سيطرة كهنوتية تحتكر سلطة تقرير الأحكام، فإن القطيعة والثورة الإبستيمولجية للعلم لدى كل من غاليلي Galilée وكوبيرنيكوس Copernic قد جسدت اللحظة الجديدة للعلم ورسمت حدود العلاقة الموضوعية في علاقة الذات بموضوع المعرفة، وبذلك تأسست العقلانية العلمية الحديثة التي تؤمن باستقلال الذات عن الموضوع وإمكانية استقراء نظام الكون المادي، ومنه كان زمن الحداثة هو زمن إعلاء العقل وإيمان بقدراته المعرفية اللامحدودة بما هو ملكة حكم أساسية ومصدر كل قيمة.

رادف مفهوم التقدم Le Progrès بما هو قيمة حداثية العقل في التأثير على حركة ازدهار العلوم وتطور أساليبها ومناهجها في بناء المعرفة وتشكيلها فكانت العقلانية التقدمية نزعة العلوم الحديثة، هذا النزوع صوب العقلية التقدمية للعلم قابله انتشار واسع وحضورا للتقنية طبع كل الجوانب وامتد إلى كافة الأبعاد، فقامت علاقة وطيدة بين العلم والتقنية[1*] عبرت عنها نزعة العقلانية الأداتية (rationalité instrumentale)،

---

* وكانت تعني التقنية عند اليونان (**Tekhné**) و هي ما تضمن دلالة الهندسة المعمارية والطب والحضارة، وكان اللفظ يشير بالنسبة على كل علم من هذه العلوم، إلى ما يستنبطه من قواعد إجرائية تسمح له بإنتاج أشياء متماثلة بصورة لا محدودة، فالتقنية هي المعرفة المنتجة والمبدعة في مقابل المعرفة النظرية التي لا تغير من موضوعها شيئاً، ومع تطور العلوم الفيزيائية في القرنين السادس عشر- والسابع عشر، لم تعد التقنية مع ديكارت مقابل للعلم، أي للمعرفة النظرية، غذ أصبحت الغاية من العلم في نظر هذا الفيلسوف أن يجعلنا أسياداً على الطبيعة ومالكين لها، وهو مالا يتحقق إلا بالتطابقات العملية أي التقنية. أنظر، جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دون طبعة، 2004،ص 114.

نتج عنه تحول حضاري وتقدم لحركة العلم وإخضاعُ للطبيعة أكثر وأكثر من قبل الإنسان، وقد تعرضت الخطابات الفلسفية المعاصرة لعلاقة التقنية بالعلم من زاوية نقدية غرضها تشخيص أزمة الحداثة* وبوادر تجاوزها، وقد استحضرت هذه الخطابات بما هي فلسفات نقدية للحداثة الكشف عن تأثير التقنية وبراديغم التقدم في خلق الأزمة. من هنا نحاول عبر هذه الورقة وفق أسلوبٍ تحليلي نقدي الوقوف على نقد هوسرل وهايدغر للتقنية ومدى تأثيرها في انبثاق الأزمة، عبر لحظتي التشخيص والتجاوز خاصةً في ظل تبنيهما للفيمنولوجيا كمنهج نقدي يحاول بعث فلسفة نقدية تدعو العقل للتحرر وبعث قواه النقدية والتحررية كما تدعوه للعلب أدواره التاريخية بوصفه المركز الذي تعود إليه كل القيم، فما معالم الفلسفة النقدية لديهما وكيف شخصت لأزمة الحداثة بالوقوف على التقنية كوجهٍ لها، وماأفق التجاوز؟ خاصة مع المفارقة التي تعود فيها قيم الحداثة لتنقلب بتأثير عكسي وتنج ما كنت تدعو إلى اجتثاثه وهي التي تُعلي شِعار العقل والتقدم.

2. في معايير وأسس الحداثة:

حاول خطاب الحداثة رسم معالمه بالترويج لمبادئ وقيم تمثل ركائز لها كمشروع تؤسس حضوراً ضمن صيرورة تاريخية متجددة، جسد العقل كما يجمع بذلك فلاسفة الحداثة والمؤرخين لها أرقى قيمها إذ يعلن تحرره من كل نمطٍ في السيطرة والوصاية الفكرية، وتحوله إلى المصدر الثابت والأساسي لكل معرفة ولكل قيمة، وهي بمثابة الامتداد لتعاليم الأنوار Les Lumières في دعوتها إلى تحرر العقل من قيوده المكبلة ومنه بعث فكرٍ متحرر من كل تبعية لحظة العقل بما هي إعلاء لسلطة الذات وترسيخ لمركزيتها في الكون و انتشالها من ضمورها الهامشي، قيم وشعارات الحداثة (la Modernité) بمثابة الانتقال إلى أزمنة وأوضاع حضارية جديدة ومغايرة ولعلَّ أبرزها:

*كلمة حداثة Modernité في اللغة العربية مشتقة من الجذر (ح د ث) و حدث الشيء يحدث حدوثا و حداثة ، و حدث الأمر أي وقع وحصل، وأحدث الشيء أي أوجده و المحدث هو الجديد من الأشياء،كما تشير أيضا إلى معنى الابتداء و إلى أول الشيء، و في اللغة حدِثان الأمر بالكسرة أوله وابتداءه كحداثته،أنظر أكثر ابن منظور،لسان العرب،(الجزء الثاني)، دار صادر لطباعة و النشر، دار بيروت لطباعة و النشر ، بدون طبعة، ص 131.

أما الدلالة الاصطلاحية فهي متعددة متباينة وغير مستقلة قياساً لاعتبارات عدة تعود لتعريفات الفلاسفة لها وبحكم اعتبار الحداثة وضع غير مكتمل وتشهد تحولات مختلفة بمرور الأزمنة.

الذاتية subjectivité le: هو مبدأ أساسي انطلقت منه الفلسفات المعاصرة، ينص أساساً على محاولة رد الإعتبار للذات الفردية والإيمان بقدرتها في التفكير وفي بناء واقعها وفق إختياراتها الخالية من كل قيد أو إكراهٍ أوتبعية، بوصف الذات كونية البعد تغدو معها للكائن أولوية في الوجود، في حين تغدو كافة الأبعاد الأخرى موضوعاً له (الطبيعة)"فالحداثة – بتعبير هايدغر- هي عهد أولوية الذات وعهد توجيه أولي للنظر الفلسفي على الذات"[1].

العقلانية: Rationalité: استخدم مصطلح العقلانية في القرنين السابع والثامن عشر للإشارة إلى المفكرين الأحرار les rationaliste من ذوي النظرة المقاومة للاكليروس والمقاومة للدين[2]، وتعد العقلانية من أبرز معالم الحداثة والتي يرتبط بها عديد المفاهيم الأخرى كالفكر والوعي والتقدم والتقنية. ومعنى ذلك أن العقل سيغدو المعيار الذي تنساق اليه كافة المعارف وباعتباره المبدأ الذي يقوّم كل ما هو حكم، معرفي أخلاقي سياسي إجتماعي أو اقتصادي هذا إضافة إلى مبادئ أخرى أساسية كالحرية التي أعلنت حضور الإنسان ومثلت قوام وجوده وحضوره ككائن الوجود، فقد نصت الحداثة على أن يكون الإنسان حراً و صاحب القانون و المشرع "فالحرية تحددت عند كانط،بتمكن الإنسان من أن يهب لنفسه قانونه الخاص وشرعته المخصوصة، أي بمقدرته على أن يخضع بنفسه لقانون نفسه، وأن يشرع لأمره بأمره"[3].

التأسيس العقلي في أزمنة الحداثة عكس قيم متباينة لمفرزات العقل، خاصة وأنه محرك أساسي لقيم أخرى كمعيار التقدم والحرية والإنعتاق، لكن العقل كشف عن أوجه جديدة ومغايرة له جراء تخليه عن أدواره التاريخية في النقد وبفعل تنامي النزعة العلمية التي احتوته وقوضت قدراته، بفعل الانزياح للنزعة العلمية تولدت العقلانية الأداتية بوصفها نزعة ذات أبعاد تسلطية، عند هذه الأوضاع تقف الحداثة أمام أزمة تمس أهم قيمها المنطلق وهي العقل ذاته، لحظة الأزمة كما تناولتها الخطابات النقدية للحداثة تجعلها مشروع يحيد عن مساره الذي وجب تعديله واعادته نحو سكته، وذلك مالايتم بلوغه إلا ببعث قوى العقل النقدية والتحررية من جديد وتحريره من عقال

[1] د،محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008 ص464..
[2] عبد الحليم عطية وآخرون، ليوتار والوضع ما بعد الحداثي،دار الفارابي للنشر والتوزيع،ص 10.
[3] د،محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر،مرجع سابق،ص512.

الهيمنة الأداتية التي تمثل تهديداً للعقلانيةِ ذاتها من خلال اختراقها لها وتحييدها عن أدوارها التاريخية الرامية أساسا إلى خلق عقلانية متوازنة تقدمية و أكثر تحررية، الأداتية بسطت على الأزمنة الحديثة أشكالا جديدة ومغايرة من القهر والهيمنة خضع لها الإنسان دون استشعار مباشر منه، فقد بات أكثر انتفاعا وتعلقاً بما تنتجه التقنية في ثوب ثقافة الإستهلاك لقد غدا الإنسان المعاصر لايتعرف على ذاته الإ من وراء مايتم انتاجه ومايستهلكه من منتجات، فقد انسحبت التقنية في الأزمنة الحديثة لتمارس حضوراً شمل كافة الأبعاد بما في ذلك الإنسان الذي انغمس تحت تأثيرها تحت وهم الانعتاق والتقدم، بذلك تترجم التقنية لحظة أزمة حداثية أو لنقل إحدى أوجهها، التي انطلقت منها خطابات النقد الحداثية تشخيصاً وتجاوزاً.

1.2 علاقة العلم بالتقنية:

بالنظر إلى سياقٍ تاريخي فإن التقنية تتأسس قبل العلم كممارسة استحضرها الإنسان وتمثل نتاجه في ظل حركة صيرورة العيش وصراعه الممتد مع الطبيعة وبما هي تعبير عن أسلوب إبداعي لديه أيضاً يستحضر خلاله مهارات للتعامل مع معطى ما، قبل أن يكون التعامل معها بأسلوب معرفي علمي، و في المقابل أيضا فإن التقنية لم تزدهر حقيقةً إلا في اللحظة التي تحالفت فيه مع العلم في صورة تأثير متبادل، حيث كشف العصر الحديث عن الترابط الميكانيكي بين العلم و التقنية و يكشف أيضا عن تفاعل متزايد بينهما، فما من بحث علمي إلا و نجده يتوسل اليوم بتجهيزات تقنية ضخمة [1].

توصف الأزمنة الحديثة و المعاصرة بأزمنة التقنية بامتياز وإعلاء شعار التقدم، بفعل الانتشار اللامحدود لها أين تتسع حدودها وتنمو صعوداً لتعبر عن مقوم حضاري، وذلك بالنظر للتوسع الهائل لمظاهر التكنولوجيا السائدة والغالبة على كافة أبعاد و مناح الحياة الإنسانية في المجتمعات الحديثة وقد تولد هذا النزوع والدافع صوب التقنية بفعل التحالف الواقع بينها وبين العلم كنتاج وإفرازٍ لقيم الحداثة وتعاليمها بترسيخ مقولة التقدم، فقد نُظر إلى التقنية بوصفها معيار وبعد حضاري لا غنى عنه وكمكسبٍ أثبت نجاعته وقيمته في تقدم العلم وتسخير الطبيعة لصالح الإنسان وترويض جِماحها، إذ كان ذلك التحصيل الذي كان يبدو ظاهرياً،غير أن أبعاده التقنية باطنياً خلق تأثيرها

[1] أنظر: جاك إلول ،(علاقات العلم بالتقنية) مجلة، يتفكرون ، العدد1 ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، 2013 ، ص243.

وضع أزمة (kriss) من حيث أنها انفلات من العقل وانقلاب عليه إلى اللاعقل جراء الإفراط في حدود العقلانية الأداتية، وبحكم أنها نتاج قيمي حداثي كرس له شعار التقدم والعقل من خلال تجذر العقلانية العلمية والنظر العلمي الذي خدم التقنية وتطور هو الأخر في حضنها، فالحداثة الغربية وكمشروع تستند مجملاً إلى جملة من المبادئ الأساسية تنشد ترسيخها،بأن أرست لخطاب يعلي لقيمة العقل والذات وانشادٍ للتحرر،غير أن الإنحراف عن تجسيد هذه المبادئ.

تغدو الحداثة زمن متأزم بفعل تراجعت فيه القيم عن أهدافها، دفعت بذلك أوضاع الأزمة الحداثية نحو انبثاق خطابِ نقدي في إثرها وكمراجعة للمشروع سعياً لتشخيص أزمتها ضمنه نالت التقنية نصيباً وافراً من النقد وحضوراً بارز في مشاريع النقد الفلسفية، عبرت عنه خاصة فلسفة كل من هوسرل هايدغر وفلاسفة النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت.

تلتقي خطابات النقد الحداثية في نقطة أساسية تتمثل في مهاجمة ومساءلة قيم الحداثة وتعاليمها إثر الإنزياح الذي ترجمه مشروع الحداثة في الخروج عن سياق شعاراته المعلنة، يتم ذلك بدءاً من لحظةِ الأنوار وخاصةً العقل بما هو قيمة عليا للحداثة فيوضع موضع اتهام وكأولوية للنقد، اعتباراً من أن هذا العقل قد حكمته النظرة المطلقة في تصوره للعالم رام من ورائها بسط سلطته في السيطرة على الطبيعة والإيمان اللامحدود بقدرة الإنسان على توجيه العالم بوصفه محركاً له ومركزاً وجودياً فيه، هذا التصور عكس واقعاً ممارسات لاعقلانية تنفلت من عقال العقل نفسه، وبفعل التصالح القائم بين العقل والتقنية انبثقت نزعة العقلانية الأداتية، "تستبدل الحداثة فكرة الله بفكرة العلم،وتقصر الإعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه لا يكفي أن تكون هناك تطبيقات علمية وتكنولوجية للعلم كي نتكلم عن مجتمع حديث حيث ينبغي أيضا حماية النشاط العقلي من الدعايات السياسية ومن الاعتقادات الدينية"[1].

لقد كرس العقل الحداثي لإلختزال مفرط شمل كل القيم والأبعاد بما فيها الإنسانية نحو قيم مادية، إذ تقيم التقنية انقلاباً على الإنسان ذاته بماهو كائن الوجود ومحوره نحو حالة من التهميش، يتبدى عند هذه اللحظة زيف العقلانية الحديثة التي انتجت

[1] آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة 1992 ص29..

للوهم وتكشف عن صور وأوجع جديدة " ففي الوقت الذي تتجاوز فيه التصورات التقلدية للعالم سواء كانت دينية أو سحرية فإنها مع ذلك وفي سياق تدخلاتها وانجازاتها تنتج حالات شعورية وسلوكات لاتمت الى المقايس التي تريد تثبيتها وتأسيسها،إنها تفرز أساطيرها الخاصة سواءً على صعيد التصور أو التنظيم أوالعلاقات"[1]. عند هذه اللحظة تغدو العقلانية الحديثة تأسيس ميتافيزيقي متجدد بأن وقعت ضمن مفارقة التجاوز والتأسيس فإن كان كل تجاوزٍ يحيل إلى معنى الرفض أو القطيعة، فإن التأسيس للعقلانية الحداثية يؤسس لصور مغايرة من حيث القيمة وإن كانت تحافظ على الهوية والتأثير ذاته، من هنا تحملنا الحداثة إلى انستنتاج أن ليس كل تجاوز هو كذلك بالضرورة، فهي تنتج باسم العقل لقيمة المعرفة المطلقة والشاملة التي سادت العصور الوسطى بتبني السكولائية امتلاك سلطة المعرفة والحقيقة المطلقة.

3. هوسرل الفمينولوجيا ونقد أزمة العلوم:

تعرض مشروع الحداثة لنقدٍ واسع من قبل الفلاسفة تشبعت به خطابات النقد المعاصرة في أوربا وبالأخص الألمان منهم، وهذا لا بمعنى الحصر بقدر ما أن هناك كثافة نقدية لدى هؤلاء تمنحهم الريادة إن جاز القول على غرار المدرسة الفرنسية المتأثرة بنظيرتها الألمانية، ولعلَ أبرز تلك الخطابات النقدية التي تناولت لحظة الأزمة الحداثية ما تحمله فلسفة إدموند هوسرل النقدية في تشخيص أوضاع الأزمة كحالة آل إليها المشروع الحداثي الغربي، ينطلق النقد لدى هوسرل من لحظة أساسية تكمن بدايةً في تشخيص مسببات الأزمة كاشفاً مصادرها والتي تقف العلوم الأوربية كأبرز أسبابها وقد أفرد لذلك أبرز كتبه المعنون "بأزمة العلوم الأوربية والفيمنولوجيا الترسندتالية" يقول هوسرل"إن كل العلوم دخلت في نهايةِ الأمر في أزمة فريدة من نوعها، إنها أزمة لا تمس العلم المتخصص في نجاحاته النظرية والعملية لكنها مع ذلك تهزُ معنى حقيقته في الأعماق."[2] تعبر الأزمة عن عصر سيادة العلم وانتشاره باعتبار أن خطابه ومنهجه يفضيان إلى المعرفة اليقينية والموضوعية، إن الأزمة الأوروبية لها جذورها في نزعة

[1] أفاية محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس،إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى،1991. ص111.

[2] إدموند هوسرل،أزمة العلوم الأوربية الفمينولوجيا الترسندتالية، ترجمة، إسماعيل مصدق ،مركز الدراسات للوحدة العربية بيروت،الطبعة الأولى،2008،ص53.

عقلانية ضالة، غير أن هذا لا يمكن أن يدفعنا إلى القول بأن العقلانية rationalité بما هي كذلك شر كله وأن أهميتها ثانوية بالنسبة للوجود الإنساني برمته.[1] يتنكر العلم للفلسفة في ظل الأزمة التي لم يعد خطابها مجدياً بمنظور علمي فبالعودة إلى السياق التاريخي للأزمة نجدها تكشف عن تنكر العلم لعلاقة قوية كانت قد جمعته بالفلسفة للتصدع في العصر الحديث، من خلال التحالف بينهما في محاربة سلطة اللاهوت التي تتبنى الحقيقة المطلقة نحو التعبير عنها خارج أي إكراه، لقد آمن العلم و الفلسفة بالعقل ورهانا على أدواره التاريخية في النقد والتجاوز وإضفاء القيم وكملكةٍ معرفية ترفض كافة أشكال الوصاية المعرفية، و بفضله أعلن كل منهما عن التحرر الإنساني، غير أن العلم سرعان ما تنكر للفلسفة باستقلاله عنها متخليا عن خطابها.

لقد عبر العلم الحديث عن ذاته كمقومٍ حضاري ينفذ إلى عُمقِ المعيش واليومي الإنساني تتصف أحكامهُ بالموضوعية واليقين، خطاب العلم بمنظور هوسرل خطاب متهافت وهو يدعي إحاطته باليقين والموضوعية وخاصة عقب تبني الفلسفة الوضعية (positivisisme)له والتي أعلنت عدائها للفلسفة بحجة أنها تكريس للميتافيزيقا وعدم جدوى خطابها الذي غدا معيقاً للعلم، فان علوماً- يقول هوسرل- لا تهتم إلا بالوقائع تصنع بشراً لا يعرفون إلا بالوقائع".[2] وهنا تقف النزعة الوضعية بدورها موضع اتهام لدى هوسرل وهي تدعي النزعة الوضعية أيضاً بوصفها تكريس للنفعية وامتلاكها لأسباب السيطرة على الطبيعة عبر جعلها تحت سيطرة الإرادة الإنسانية فهي بنزعتها العلمية إنما تعمل على إجهاض التأمل الفلسفي الذي هو جوهر الفلسفةِ ولبها.

إن مَكمَّن العلِة يتصور هوسرل ليس في شيوع النزعة العقلانية بقدر ما يتمثل في خضوعها و انغماسها ضمن هيمنة الوضعية الأمر الذي نجم عنه وضع الأزمة "[3] وتدَّعي الوضعية في خطابها أن الحقيقة العلمية حقيقة موضوعية و ثابتة ذات وجود مستقل ذلك أن خطابها ليس يعترف إلا بالحقائق التي تخضع لشروط الموضوعية والتجربة، ثم إن رؤية الإنسان الحديث تحددت كلها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من

[1] د،كمال بومنير،أزمة العلوم ومفارقة العقلانية بين إدموند هوسرل والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت،مجلة أوراق فلسفية،العدد35،ص166.

[2] د كمال بومنير،أزمة العلوم ومفارقة العقلانية بين إدموند هوسرل والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مجلة أوراق فلسفية،القاهرة، العدد 35،ص166.

[3] إدموند هوسرل ، أزمة العلوم الأوروبية و الفينمنولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق ، 2008، ص 127.

قبل العلوم الوضعية وحدها وانبهرت بالإزدهار الناجم عن هذه العلوم ما أدى إلى الإعراض في لا مبالاةٍ عن الأسئلة الحاسمة لكل البشرية وهنا يبدو التهافت واضح من طرف الخطاب الوضعي و يتضح قصوره عن إدراك الحقيقة الكلية لهذه الحقيقة .

إن من ادعاءات الخطاب الوضعي في تصور هوسرل أن الحقيقة العلمية هي مجرد تسجيل للوقائع بصورةٍ موضوعية بحيث تنسب للموضوعات والتراكيب والصيغ العلمية وجودا بذاته مستقلاً عن كل إنجاز للوعي من حيث أنه يقصد موضوعه ويتجه إليه لذلك فإن هذا الخطاب لا يعتبرُ حقيقيا إلا ما يقبل الدراسة الموضوعية بهذه الكيفية.[1] بذلك تنفك علاقة تكامل الفلسفة والعلم بحيث تطالب الوضعية بإخضاع الفلسفة للعلم ولأن تقاس بمعاييره وأحكامه حين بغدو العلم يمثل نموذج المعرفة الوحيد .

1.3 الفمينولوجيا نقدا للأزمة:

تجدر إلى كون فلسفة هوسرل لاتقف لدى حدود التشخيص فقط وإنما هي تستشرف أيضاً أفاقاً للتجاوز نحو رد الاعتبار لعالم المعيش و الذي طاله الإقصاء و التهميش جراء البعد الاختزالي الممارس من طرف العلم والذي طغى على أسلوبه النزوع نحو المادة وتغيب سؤال الإنسان في ظل اعتماد أسلوب التكميم الرياضي في الجمع بين الظواهر والنزوع نحو التقنية،إذ نتج عنه انفصال بين الذات و الموضوع،عند هاذ الحد وجب بعث فلسفة أكثر صرامة ودقة متسلحة بالنقد لاستشراف بوادر مجاوزة الأزمة، عند هذه اللحظة، تقف **الفمينولوجيا(la Phénoménologie)** بوصفها منهج معرفي نقدي إصلاحي يستدعي خلالها هوسرل أفق تجاوز للتصور الضيق للعلم من وراء كتابه" **أزمة العلوم الأوربية و الفمينولوجيا الترنسندنتالية" (la Crise des Sciences européennes)** إن بوادر التجاوز التاريخي للأزمة يستشرفها هوسرل بالعودة إلى الفلسفة عينها بحيث يدعوها هوسرل نحو ممارسة أدوارها النقدية والتصدي لخطاب الفلسفة الوضعية الذي بالغ في تمجيد النزعة المادية للعلم ومصالحته التقنية.

إن الثورات الحاسمة في تقدم الفلسفة إنما هي تلك التي يتم فيها هدمُ ادعاءات الفلسفة السابقة وتجاوز خطابها باعتبارها علم عن طريق نقد سيرها العلمي المزعوم

[1] د،كمال بومنير وآخرون، حوار الفلسفة والعلم سؤال الثابت والمتحول،منشورات الاختلاف،ضفاف الأمان،الجزائر،الطبعة الأولى،2012، ص221.

وعندئذ تنهض الرغبة الواعية تماماً لتنشئ من جديد وعلى نحو جذري الفلسفة بمعنى العلم الدقيق.[1] يجعل هوسرل للفلسفة الدور الرئيس ضمن أفاق تجاوزيه للأزمة عبر جعل الفلسفة علماً صارماً وبلورة الفمينولوجيا الترنسندنتالية (la Phénoménologie Transcendantale) في مواجهة الأزمة وفق لحظتين أساسيتين: من حيث التشخيص والتجاوز،ضَّمنَ هوسرل الفمينولوجيا كمنهجٍ آليات إجرائية تعتمد الوصف والقصدَّية في الكشف عن الظواهر ضمن تجربة إدراكية واعية بمواضيعها كما هي موجودة في العالم،" تحاول الفمينولوجيا النظر نحو الأشياء والظواهر كما تبدو شاخصةً للوعي، إذ تظهر الأشياء حسب هوسرل في جوهرها كما هي للوعي بوضوح"[2] فتجربة الفمينولوجيا تتحرى الموضوعية من خلال اعتمادها لحظة **الإيبوخي** (épokhé)كممارسة تمتنع عن إصدار الأحكام نفياً أو إثباتا، يعقب ذلك آلية الرد الفيمنولوجي للظواهر والموضوعات ودراستها ضمن نمط علاقتها مع الذوات الإدراكية. "إن المطلوب إذاً هو فيمنولوجيا المعرفة بوصفها نظرية في ماهية الظاهرات المعرفية المحضة إن الإنتظارات واعدة ولكن كيف للفيمنولوجيا أن تبدأ مع ذلك، كيف لها أن تكون ممكنة"[3]. تقف الفمينولوجيا موقفاً نقدياً ضد العلم الوضعي لنفي بعده الإختزالي جراء تهميش الإنسان كموجود عيني يطرح معيشه أسئلة جوهرية كان على العلم احتضانها والإلتفات إليها، إن نقد العلم هنا ليس المراد منه التنكر له او قدحاً في قيمته المعرفية التي تعكس بصورة متطورة نتائج عينية وملموسة، إنما النقد يطال هنا الوضعانية كفلسفة احتوت العلم ووجهت خطابه نحو نزعة مادية لاتلفت إلا لما هو واقعي عيني." إن كل العلوم دخلت في نهاية الأمر ضمن أزمة فريدة من نوعها،إنها أزمة لا تمس العلم المتخصص في نجاحاته النظرية والعملية لكنها مع ذلك تهز حقيقته في الأعماق".[4] إن نقد العلم في إطارٍ فيمينولوجي لايستدعى حقيقةً إحداث انقلاب وقطيعة جذرية عليه فتحل الفلسفة مكانه، ففي الوقت عينه تظل لدى العلم إنجازات و أهمية انعكست في أثار ومجالات

[1] بوعلي نابي وآخرون، حوار الفلسفة والعلم سؤال الثابت والمتحول، ،منشورات الاختلاف،ضفاف الأمان،الجزائر،الطبعة الأولى،2012.ص302.

[2] Mark Le Ny, découvrir La Philosophie contemporaine, Groupe Eyralles61,bd Saint_Germain.p71.

[3] إدموند هوسرل، فكرة الفمينولوجيا ،ترجمة فتحي أنقزو،،مركز الدراسات للوحدة العربية بيروت،الطبعة الأولى ص84.

[4] إدموند هوسرل،أزمة العلوم الأوربية،مصدر سابق،ص53.

عدة، لكن الفيمنولجيا تستدعي تحرير الفلسفة عبر بعث قدراتها النقدية للفلسفة ودعوتها لوجوب معالجة قضايا الإنسان ضمن مايطرحه معيشه اليومي، وفي ظل ملاحقة الوضعية للفلسفة التي تسعى لتجاوز خطابها فإنها تظل منوطة تاريخياً بنقد وضع الأزمة وتحرير الوعي الأوربي، إن الفلسفة مدعوة إلى إرشاد الوعي الأوربي والانفتاح على ذاته وتأملها وفق حركةٍ قصدية تتجاوز الاختلافات القومية (اللغة المصلحة والغاية) وتدرك القيم السامية والعامة المشتركة والتي تحققت داخل كيان اسمه أوروبا.[1]

إن هذا التحديد والتصور الذي تقيمه الوضعية للعلم الحديث له نتائجه وأثاره ماعمق في شرخ الأزمة موطداً إياها،حيث يُلاحظُ هوسرل ذلك التصالح والتطابق بين العلوم الحديثة والتقنية أنه حضور توافقي بينهما، حيث أن حالة الأزمة هاته تعبر في منظوره عن آلية التكميم الرياضي التي تجمع بين الظواهر، ما أدى إلى انفصال بين الذات و الموضوع و الأزمة تزداد حدةً عندما يغدو"المنهج الممارس في العلوم الحديثة منهج يتطابق على نحو تام مع التقنية "[2] هذا التهافت في خطاب العلوم وادعاء الحقيقة المطلقة نزوعاً نحو الواقع أدى إلى إهمال المعيش الإنساني باعتباره كيان موجود وفاعل في الوجود " فبقدر ما يزداد الابتعاد عن العالم المعيش والاستغناء عنه[...]وهكذا فإن اتساع دائرة التقنية ستتخذ دوماً شكل تصحيح لاستبقاء التجربة وتعويضها بقوانين العلم الكونية، وتتمثل علامات هذا الاكتساح التقني في إحلال حقائق موضوعية علمية محل التجارب اللامتناهية التي يمتلئ بها العالم المعيش ."[3] عندئذ تغدو التقنية بدورها كعامل أزمة ومنتج لها تخدم العلوم بما هي أيضا نتاجُ لها ومستفيدة منها، فعالم المعيش ليس جديرا بالدراسة العلمية لأنه ليس سوى انعكاسا للذاتيه وبالنظر إلى توسع العلم إلى مجلات متنوعة،فسيحل العلم محل الفلسفة وتلك هي ذروة الأزمة[4]

وجب التخلي في نظر هوسرل عن المغالاة في ادعاء الموضوعية والصرامة من قبل العلوم،فهي تتموضع موضع العلوم الجاهزة ووجب خضوعها لمعول النقد دون استثناء

[1] بوعلي نابي وآخرون، حوار الفلسفة والعلم سؤال الثابت والمتحول، مرجع سابق، ص306.

[2] Edmund Husserl , la crise des siennes européennes tradition par Ricœur-Ed Albien-paris, 1977,p56

[3] ipid, p 103.

[4] بن سعيد محمد وآخرون،حوار الفلسفة والعلم، مرجع سابق،ص302.

ودون التقليل من مصداقيتها وقيمتها المعرفية،والرياضيات على رأسها كمساهم في خلق الأزمة من حيث ارتباط موضوعها بالدقة واليقين وباعتبارها النموذج لكل معرفة علمية موضوعية، وهكذا تصور يقصي الذات من أي دور في المعرفة؛ إن ادعاء الصرامة المنهجية في العلوم الطبيعية والرياضية خصوصاً جعلتها تحدد ضوابط منهجية صارمة تلتزمُ بها ضرورةً باقي العلوم الأخرى وكل علم لايحترم الضوابط العلمية الصارمة وما تمليه القياسات الرياضية فهو يقع خارج دائرة العلم وينحصر في زاوية المعرفة السطحية، إن الاختزالية التي تقيمها العلوم تقيم حتمية خضوعها للنقد إذ لم تحقق المرجو فإن النسبية والنقص صفات تلازمُ العلوم مهما ادعتهُ من دقةٍ وصرامة يقول هوسرل: " إن من المعترف به أن العلوم كلها ناقصة بما في ذلك العلوم المضبوطة".[1] من هنا وجب التصدي لصورةِ هذا الخطاب العلمي في تهافُتِه من خلال نقدٍ للعقل الحداثي ذاته وقد تخلى عن أدواره التاريخية إذ ليس يعكس قيمه المنوطة به، يستشرف هذا النقد الهوسري إصلاحا للعقل كمقوم معرفي قيمي وحضاري لا غنى عنه عبر العودة إلى الفلسفة التي تمتلك مقومات التجاوز للأزمة، حيث يدعوها هوسرل لأن تكون علماً صارماً، عبر التحرر من السياقات الضيقة للنزعة الموضوعية وتحديد حدود للعمليات الفيزيائية، وقد بلور ذلك هوسرل ضمن مقاله الموسوم "بالفلسفة كعلم صارم " "فأزمة الوجود الأوربي -يقول هوسرل- لا تمتلك إلا مخرجين: إما السقوط في مهاوي الانحطاط بفعل نسيان المعنى العقلاني للحياة وإما بالعمل على نهضة أوروبا عن طريق إحياء روح الفلسفة."[2]

4. هايدغر- نقد التقنية كميتافيزيقا:

يقوم مشروع هايدغر الفلسفي بالتأسيس للنقد كآلية فاعلة وضرورية مستحضراً بوصفه المنطلقات النقدية والمنهجية ذاتها التي وظفها هوسرل كأرضية انطلاق، لكن وفي اللحظة ذاتها يعلن هايدغر تجاوزه لطرح هوسرل وبالأخص ماتعلق بالنقد الفينمينولجي وإضفاء تعديلات أساسية عليه،" تشهد الفمينولوجيا كمهج في القرن العشرين إبداعا وتأسيساً جديداً من خلال الأعمال الأصلية لهوسرل يتم عبرها انفتاح الفمينولوجيا على

[1] إدموند هوسرل الفلسفة علما دقيقا،ترجمة وتقديم محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة،2002،ص24.

[2] Edmund Husserl , la crise des siennes européennes op.cit., p103

إشكاليات جديدة لتستمر هذه العملية في أعمال متنوعة مثل أعمال هايدغر خاصةً"[1] لا ينبغي التخلي عن أدوار النقد بوصفه أداة أساسية يتوجب بعثها والحفاظ عليها في سبيل تشخيص الأزمة وتجاوزها، تستشرف فلسفة هايدغر إدراك الحقيقة بالبحث في الوجود الإنساني بما هو كائن الوجود، إن أولوية الفلسفة عنده تتمثل بالبحث في تجليات الكينونة الإنسانية من خلال طرحٍ لسؤال الموجود الذي هو سؤال مغيب ومتوارٍ تم إغفاله في ظل سيطرة النزعة التقنية وانتشارها الواسع؛ ينطلق تصور هايدغر من قناعة مبدأية يقر فيها بصعوبة الضبط والإحاطة بمفهوم التقنية وذلك لتعدد سياقات فهمها من جهة ولتعدد سياقها الدلالي كذلك، من هنا تبدو الضرورة ملحة لديه للوقوف على تجليات ونوازع التقنية كنزعة وماتحمله من مضامين متوارية.

إن حقيقة التقنية هي غير ماتعلنه ظاهراً إنها اليوم تفرض على الكائن أشكالاً مغايرة من الإكراه تجعله ضمن تبعية ذات خضوع إرادي وهي تحجب وتعيق تجلي الكينونة مانعةً إياها من التحقق مما يؤثر على إدراك الحقيقة واستجلائها، تستدرج التقنية كنزعة الكائن نحو حالةٍ من التبعية التي تقف عائق أمام إدراك الحقيقة **"إن الإنسان صار عرضةً لسيطرة و نداء قوة تتجلى في كنه الكينونة و في هذا الأمر تحدث «التجربة- المحنة» التي تمر بها كينونة الإنسان فتصير كينونة مستكرهة مستحثة لشيء ليس منها ولا هي تتحكم فيه"**[2] هنا تقف التقنية غير مبرئة من تهم القمع والسيطرة خاصة وهي تستجلي بعثاً مغاير للكينونة تحتلها التقنية حيث تندمج هذه الكينونة ضمن إطارٍ من التلازم و التبعية المستمرة لها،وقد وجب هنا للعلاقة بين الذات "الكينونة" والتقنية أن تكون علاقة خدمة متبادلة وتعايش لا أن تكون علاقة استيعاب من جهةٍ واحدة يتم فيها حذف وإلغاء الكينونة.

يلزمنا هايدغر بضرورة التفرقة و نحن نريد و نطلب ماهية التقنية بحتمية التميز بين السؤال حول التقنية في ذاتها والسؤال عن ماهيتها الشيئية، معناه أن البحث عن ماهية التقنية لا يقتضي منا تمثلها و ربطها بأشياء ومدلولات تقنية، فلقد اهتم فيلسوف الكينونة بالتقنية من خلال تحليله لها وفق زاوية فلسفية نبه خلالها نحو

[1] Mark Le Ny, découvrir La Philosophie contemporaine , opcit.p71.

[2] محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص 614.

الخطر الذي يمكن للتقنية أن تشكله فهي تتحول إلى بعد كوني وذاك اعتباراً إلى الحَّيز والإطار الواسع الذي تحتله ضمن دائرة الوعي الغربي وكذا في حيز عالم المعيش، إن لامحدودية الانتشار بالنسبة للنزعة التقنية يشكل تهديداً حقيقياً للكينونة الإنسانية يصل حد التذاوب الماهوي والانصهار، لابد إذا يدعونا هايدغر إلى النظر وفق تصورين للتقنية بين التقنية في شكلها الأداتي النفعي المسخر لخدمة الإنسان والبشرية ضمن صراعه لإخضاع الطبيعة وتطويع قواها بما يخدم مصالحه، وبين التقنية في معناها العميق الشاسع والممتد إلى ما وراء صورتها الأداتية النفعية، والتساؤل الذي يطرح يتعلق بالإرادة ذلك في حالة ما تعدت التقنية مستواها الآلي يقول هايدغر **" لنفترض الآن أن التقنية ليست مجرد وسيلة ما هي الحظوظ التي تبقى للأداة في أن تتحكم فيها؟"**[1] فيبقى المستوى الأداتي للتقنية ليس بمقدوره تحديد أو الكشف عن ماهية التقنية الحقيقي " إن التصور الأداتي للتقنية رغم صحته لم يكشف لنا بعد عن ماهيتها لكي نصير نحوها أو على الأقل للتقرب منها، علينا أن نبحث عن الحقيقي غير الدقيق، وعلينا أن نسأل ما هو الطابع الأداتي ذاته"[2] إن مسألة التقنية تفيد ذالك الترابط الذي يحصل فيه الانكشاف والاختفاء وحتى كينونة الحقيقة ذاتها.

جسدت التقنية أبرز سمات الحداثة ووجه من أوجه تجليها بوصفها نتاج وتعزيز لقيمها الرامية لإعلاء العقل ومقولة التقدم، إن لم نقل أن الحداثة تتمظهر في ثوب التقنية خاصة وأن العلم الذي تستند إليه الحداثة في جوهره تقني،من هنا يتوجب التأمل في التقنية بوصفها منتجاً حداثي ليس في كونها مخترعات وآلات وإنما باعتبارها موقف وميتافيزيقا، التقنية اليوم تنتج خطاباً جديداً للميتافيزيقا في زمن الحداثة أو ما أسماه **" ميتافيزيقا الذاتية"** وأيضاً في محاولة بسط التقنية على كل مظاهر الحياة لإذلال الطبيعة وإخضاعها لغطرسة الإنسان"[3] تنتج التقنية صوراً وأنماط من القمع والتشكُّلُ الجديد والمختلف تعكس تأثيراً سلبي على مستويات شتى، على إثر ذلك وفي ظل التأزم وكمحاولة للتشخيص وبعث بوادر تجاوزية يدعو هايدغر الفلسفة إلى أن

[1] محمد الشيخ و ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، دار الطليعة للطباعة النشر – بيروت، 1996. ص15.

[2] مارتن هايدغر، التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة، محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان ص83.

[3] محمد الشيخ و ياسر الطائري ، مرجع سابق، ص15.

تلعب أدوارها التاريخية بممارسة النقد والذي تبلوره الفيمينولوجيا كمنهج نقدي معرفي.

الفيمينولوجيا نحو رد الاعتبار للذات كموجود.

يستحضر هايدغر تعاليم فلسفة أستاذه هوسرل في التأسيس لمشروعه النقدي إذ يقُر بدايةً بضرورة الفيمينولوجيا كمنهج لكن مع ضرورة أخذ تعديلات عليها يراها ضرورية، تغدو الفيمينولوجا لديه فيمنولوجيا وجود، الانطولوجيا كما حدد معالمها هايدغر أنطولوجيا تحتضن الإنسان وتلتفت إلى قضاياه كمحور تدور حوله حلقة التفكير بوصفه ذلك الوجود الأسمى، هذا الذي يجعل من فيمنولوجيا الوجود تمتاز عن سابقاتها التي أهملت وجود الإنسان لصالح وجود الأشياء، يقول هايدغر "إن الأنطولوجيا ليست ممكنة إلا باعتبارها فيمنولوجيا وأن المنهج الفينمنولوجي يقود المعرفة الترنسندنتالية"[1] تطرح فلسفة هايدغر نقدا للفلسفات السابقة والانطولوجيا الغربية عموماً بوصفها فلسفات غيَّبت سؤال الإنسان كموجود وبالغت في تقديره في الفصل بين الذات والموضوع كإنتاجٍ ميتافيزيقي بلغ ذروته،في حين أن الحقيقة تستدعي الانفتاح على الكينونة وجعلها تنكشف " لقد انكشفت ماهية الحقيقة كحرية هذه الأخيرة هي عملية ترك الموجود المنفتح يوجد، التي تكشف الموجود. كل سلوك منفتح يحدث تاركاً الموجود يوجد ومتخذا موقفاً من هذا الموجود الخاص أو ذاك. لقد جعلت الحرية كل سلوك متوافقاً من قبل مع الموجود في كليته وكما هو"[2] لذا فإن الفلسفة النقدية في إطار فيمنولوجيا الوجود تستدعي تجاوز خطاب الميتافيزيقا الحداثية واجتثاثها من الجذور خصوصاً وأنها تأسيس جديد لها في زمن الحداثة التي حملت شعاراتها مناهضة المتافيزيقا "إن العقلانية الحديثة يتصور هايدغر عقلانية كونية تزداد حدتها كلما زاد توسعها ومجال سيطرتها إذ أن كل مجال يتم اخضاعه يتحول بدوره إلى نظامٍ معقلن يؤدي دوره في السيطرة إذ تغدو الأنظمة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية معقلنة وكليانية بدورها"[3] .

[1] أشرف حسن منصور، انطولوجيا الوجود الإنساني بين هيغل و هايدغر،مجلة أوراق فلسفية،العدد 18،ص77.
[2] هايدغر، التقنية، الحقيقة ، الوجود، مصدر سابق،28.
[3] ياسر الطائري، محمد الشيخ،مرجع سابق ص 226.

1.4 التقنية وقهر الذات:

إن التقنية كنزعة وظاهرة حداثية تكريسُ للميتافيزيقا وتأسيس جديداً لها ومغاير يؤكد هايدغر فإنها تغدو النمط السائد والوحيد لتأويل العالم فهي تصنع وتحدد مواقف الإنسان كما تمتلك قدرة هائلة على التحكم والسيطرة تفرضها عليه مما يجعلها غير قابلة للخضوع والتحكم، إن التقنية تخلق وضع أزمة وتمثل تهديد يترصد الكينونة من جراء انزياحها المتنامي، تفحص فلسفة هايدغر يكشف عن إفراده لبحث خاص ومعمق لسؤال التقنية بوصفه سؤال لا يتقيد بالمألوف ضمن مايقتضيه السؤال لقبول إجابات مباشرة، بقدر ماأنه سؤال بنائي مركب ومعقد نظراً لتعدد الجوانب والمجالات التي يستنطقها السؤال، يتجلى ذلك بدءاً من محاولة ضبط مفهومها فهي بمنظور هايدغر ليس بمعنى مدلول التعبير الألي التقني بقدر ما أن السؤال متعلق بماهية التقنية، إن ماهية التقنية لا يمكن أن تكون بوصفها آلات أو منتجات محضة يقرر هايدغر" أن ماهية التقنية لا يمكن أن تكون شيئاً تقنياً،كما أن ماهية الشجرة ليست شجرة يمكن العثور عليها بين بقية الأشجار"[1] هنا يبدو التصور الشائع حول التقنية زائف وغير مكتمل يجعل ماهيتها الحقة منحجبة، وهنا ينقلنا هايدغر نحو تصور مغاير لها إذ الماهية الحقة لها مرتبطة بالحقيقة أين يرجع أصل تلك العلاقة إلى التجربة الإغريقية وتحديداً أرسطو الذي يعتقد في تأويل هايدغر أن « téchné » تشترك مع « epistéme » في أنهما معاً كيفيتان للكشف،لكن يكمن الفرق بينهما فيما تكشفانه وفي كيفية كشفهما فلا يكشف ال « epistéme » العلم أو المعرفة بالمعنى الصارم إلا ما يكون أو لا يكون، أي ما ليس وجوداً ضرورياً"[2] ولأجل ذلك ينبغي لعلاقة الكينونة بالتقنية أن تكون تصالحية وتكاملية بحيث تثبت الكينونة الإنسانية ذاتها بواسطة التقنية بأن تكون مُتبِعة لها لا تابعة. لذا دعا هايدغر إلى أن تلعب الفلسفة دورها في الترصد والتنبيه بتلك العلاقة الغامضة الكثيفة التي تصل بين الكينونة والتقنية كعلاقة استيعاب من طرفٍ لطرف أخر كأن هايدغر يريد للقطبين معاً أن يزدهرا وأن يغني أحدهما الأخر لا أن يبطله أو يحذفه أو يطمس دوره"[3].

[1] مارتن هايدغر، كتابات أساسية ،ترجمة إسماعيل مصدق،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص151 .

[2] المصدر السابق،ص154.

[3] صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان،بدون طبعة، 1990، ص51.

تكمن المغايرة والتجديد في طرح هايدغر لسؤال التقنية نابع من كون أنه طرح لم يقف عند حدود الكشف عن تأثيراتها السلبية على المعيش والراهن الإنساني فقط أو في المستوى الظاهري لحقيقتها، بقدر ماهو طرح عميق ينظر إلى التقنية بماهي نزعة ذات تأثير تنازع فيه كينونة الذات وتنتج نمط جديد في السيطرة عليها، فالتقنية ذاتها لم تعد تحمل مدلول التطبيقات العملية للمعرفة العلمية " إن التقنية في نظره ليست ذالك الجانب التطبيقي العملي من المعرفة العلمية، بل هذه المعرفة نفسها هي في جوهرها تقنية....إن ماهية التقنية عند هايدغر لا تتمثل فيما تمنحه من أشياء وأدوات وآلات وأجهزة، إذ أن هذه الأخيرة ما هي سوى مظاهرها "[1]. إنها تؤسس في تصوره نوعاً من الطمس للبعد الإنساني أو لنقل طمساً لجملة المبادئ والأهداف التي أسس لها المشروع الثقافي الغربي ذاته بحيث تاهت الكينونة وضاعت في عوالم التقنية، فالأبعاد التحررية بين الذوات تتشتت هي الأخرى بفعل التحالف والتصالح الذي تقيمه النزعة التقنية مع النزعات المحافظة ومع السلطة السياسية كذلك.

ترتقي التقنية كما يقر هايدغر في الأزمنة الحديثة لتعبر عن توالد ميتافيزيقي جديد ومغاير وفق نمط من العلاقة التي تجمع ما بين الإنسان والوجود، وتتحدد النظرة الميتافيزيقية للتقنية بفعل النزعة الإنسانية الذاتية التي يتأسس مفهومها الجديد مع ديكارت أين تغدو الذات وتتحول إلى مركزية للتفكير يكون الإنسان فيها سيداً للطبيعة التي تغدو بذلك موضوعاً للذات الإنسانية اذ يصف هايدغر ذات التحول بقوله" مع ديكارت تتحول الميتافيزيقا العدمية فتصبح المعرفة موضوعاً للتمثل حيث يوضع الشيئ أمام الذات، وبهذا المعنى خرجت الميتافيزيقا الديكارتية من الميتافيزيقة التقليدية لتمثل الذاتية حيث تكون الأنا هي الموضوع المتميز والمفضل للميتافيزيقا، بحيث يمكننا القول إن الفكر يستحضر ويوضح كمقابل للوجود ليصل في الأخير إلى شيئ حاضر أمامه، ومن ثمة يحوله إلى موضوع".[2]

يتم نسيان الوجود وجود الكائن (الدازاين) من قبل الذات الإنسانية بفعل تحول الطبيعة إلى موضوع لهذه الذات، فيتحول الاهتمام الإنساني من اهتمام بالوجود نحو

[1] د.كمال بومنير،النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى آكسيل هونيث، منشورات الاختلاف،الجزائر، الطبعة الأولى،2010.،ص54.

[2] المرجع نفسه، ص54.

الاهتمام بالطبيعة وما تتضمنه من ظواهر، وفي ظل هذا التحول يتم نسيان الوجود"إن الميتافيزيقا الغربية منذ أفلاطون قد أغفلت التفكير في الوجود وركزت اهتماماتها على الموجود...الموجود يمكن حصره وقياسه وإخضاعه للدراسة بمعنى أن يكون موضوعا سواء أكان هذا الموضوع هو الإنسان أو الطبيعة، أما الموجود فلا يمكن حصره و قياسه وتمثله كموضوع، ونسيان هذا الفرق الأنطولوجي هو ما جعل الميتافيزيقا فكرا نسي الوجود".[1]

سيفقد الإنسان سيطرته على التقنية وإن كانت معطى سخر لأجله بحيث يبدو مالكاً لها وهو يتناول مفرزاته بشكل يومي مستمر انطلاقا من سعيه للسيطرة على الطبيعة لكنه يفقد ذلك بأن يغدو خاضعاً لتأثيرها ومنغمس في سحرها الخادع " إن التقنية التي كنهها الكينونة نفسها يتجاوزها الإنسان ومعنى ذلك أن الإنسان سيصير حينها سيد الكينونة وهذا أمر محال".[2] يصف هايدغر التقنية بالظاهرة الجوهرية للزمن الحديث وهي تمثل بعثاً ميتافيزيقياً جديداً خلق أشكالاً مغايرة من العبودية حيث تتجلى في قدراتها التدميرية المهددة للحياة ووجود الإنسانية وخاصة بعد اكتشاف الإنسان للقنبلة الذرية والهيدروجينية و غير ذالك من الآلات والأجهزة والأدوات التقنية ذات النزوع القهري "وخاصة تلك التي يمكن أن تكون قاتلة إنما في ذلك الأسلوب الحسابي والنفعي من التفكير الذي يقوم على فكرة الذات...حيث أصبحت تخضع موضوعها لمشروع تصميم قبلي محدد الأهداف وهذه النظرة إلى الذات تستند إلى تقليد ميتافيزيقي لاستنزاف ما تدخره من طاقة "[3] بذلك فإن صورة التقنية تنكشف من وراء عمق الظاهرة إذ تحيل إلى بعد كينونة يتجاوز المعطى الأداتي لها، إن خطورة التقنية اليوم ترتسم معالمها ضمن قدرتها على السيطرة والاستحواذ والنفوذ إلى مختلف الأبعاد الإنسانية وتعمل على اختزالها إلى قيمة شيئية، فهي تنبذ صور الاختلاف والتعدد في الوجود وتسعى إلى تأسيسٍ نمطي له وجود يخضع للتطابق والوحدة، إن التقنية تعمل تحديداً على قلب مظاهر الوجود لصالحها فلا ينعكس العالم إلا في صورتها، وهنا يعتبر

[1] المرجع نفسه، ص55.
[2] محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص615.
[3] هايدغر، التقنية، الحقيقة ، الوجود، مصدر سابق، ص44.

هايدغر أن كل محاولة لتجاوز التقنية هي عينها محاولة للانفلات من الميتافيزيقا واجتثاث لها.

يجعل هايدغر من الإنسان ومصيره أعظم همومه التي تضمنتها محمولات تساؤلاته الفلسفية، هذا المصير المبهم والمهدد في ظل الانزياح المتزايد للتقنية، ومنه كانت الفلسفة ملزمة بإحداث غربلة وتصفية كافة أشكال الميتافيزيقا والمتوارثة عن العقلانية الحديثة، إن هايدغر لا يخفي قلقه من الإفراط القائم جراء المغالاة في الثقة بالتقنية التي لم تخلف سوى تدمير بطيء للإنسان وطمس قيمه وأبعاده بفعل التحالف الذي تقيمه مع العلم.

على نهج أستاذه هوسرل يواصل هايدغر التأسيس النقدي للفيمينولوجيا مستهدفا الوقوف على مواطن الأزمة بدءا بآلية التشخيص مبرزاً مفعلاتها وأسبابها في خلق وضع التأزم للأزمنة الحديثة، والتي تتحمل التقنية الجزء الكبير منها، يحيل هايدغر كل اهتمامه الفلسفي نحو سؤال الوجود المنسي والمغيب ضمن الطرح الفلسفي" إذ أن التقنية تكاد تجسد في الوعي الغربي المعاصر ما يجسده مصطلح الكلمة في الوعي اليوناني"[1]. فقد تحولت التقنية في الأزمنة الحديثة إلى معيار نمطي يحدد كل المعايير والأهداف تتحول بموجبه هي إلى بعد كوني شمولي فهي بذلك تهديد للكينونة الإنسانية، فضمن سعيه للإجابة عن سؤال الوجود و رد الاعتبار له بوصفه مهمشاً و مغيباً ينتقد هايدغر في هذا الإطار بشدة الفلسفة الوضعية و نزعتها الامبريقية أين يعتقد" إن العلوم الوضعية ليس حدث يؤسس لحقيقة الوجود و ذلك لأن هذه العلوم تنظر إلى الموجود من حيث هو موضوع يخضع للمعرفة العلمية التي تهتم بمختلف مجالات الطبيعة (الجامدة و الحية) دون الاهتمام بكنهها و بالتالي فهي لا تفكر"[2] و بهذه الصياغة ينفي هايدغر صفة التفكير عن العلم لا بصفة الإنكار و إنما باعتبار أن الإمكانية التي يمتلكها العلم لا تبلغ النجاعة والدقة كالتي تمتلكها مثيلاتها ضمن سياق التفكير الفلسفي، هذا الأخير يمتلك لوحده إمكانات البحث عن سؤال الوجود و من هنا اعتبر هايدغر إدعاءات الوضعية من حيث قدرتها على إدراك حقيقة الواقع و الإجابة على كافة الأسئلة هي إدعاءات باطلة و غير مؤسسة، أما من حيث ما يتبدى للظاهر من أن العلوم الوضعية

[1] صفدي مطاع ،نقد العقل الغربي ، مرجع سابق، ص 51.
[2] كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز الحكمة ، الجزائر ، ص09.

قد حققت تقدماً و قطعت أشواطاً كبرى في ميدان العلوم الوضعية فإن ذلك غير كافٍ و لا ينبغي الأخذ به كمعيار للنجاعة.

إن العلوم الوضعية في نظر هايدغر تكشف عن تحول في ظواهرها و ضمن قوانينها دونما إدراك شامل لحقيقتها فهي تنظر إلى هذه الظواهر بوصفها أشياء و موضوعات لا كماهيات مما يؤدي إلى انحجاب و تواري حقيقتها "..إنها لا تدرك من الطبيعة إلا ما تنشئه فيه أو قل أنه لا يعثر في الطبيعة إلا على عنه فيها و معنى هذا أنه ليس بإمكانها -حسب هيدغر- أن تبين إذا ما كان إستقصائها الطبيعة يؤدي إلى إنكشافها كما تدعي هذه العلوم، أم بالضد يتأذى إلى إنحجاب كنهها عن التحقق "[1]

الخاتمة:

في ظل التطرق إلى جوانب من الفلسفة النقدية لدى هوسرل و هايدغر نستشف مدى جِدِية وعمق الطرح في مشروعهما النقدي بفي تناوله لعديد الجوانب لقيم الحداثة وتعاليمها وبالأخص في نقد سؤال التقنية، إذ تثبتُ وفق خطابهما علاقتها في تأزم الحداثة وحيادها عن تعاليمها و يظهر هذا التأثير لها على أبعادٍ مختلفة قيمية فكرية وحضارية،فقد أكدت هذه العلاقة للتقنية بالأزمة جدلية القيم الحداثية من حيث الشعارات المعلنَّة ومفرَّزات الواقع،من هنا يقف النقد كعامل أساسي وضروري في مرافقة الحداثة وتجسيد قيمها بغض النظر عن دوره العدَّمي أو التجاوزي أو الإصلاحي، من هنا تكتسي الفلسفة النقدية لهوسرل و هايدغر أهميتها كحلقة أساسية من سلسلة الخطاب النقدي للحداثة، ولعلَّ أهميتها تبرز قياساً لاعتباراتٍ عدة خاصة من حيث التأثير والحضور في الفلسفات اللاحقة والتي واصلت مشروع نقد الحداثة متخذة من نقدهما مرجعية وبالأخص ما تعلق بسؤال التقنية، وإن كانت فلسفتهما النقدية تتغذى هي الأخرى بمشارب أساسية ساهمت في بلورتها خاصة من حيث الحضور الديكارتي و الكانطي، هذا الامتداد والتأثير لفلسفة هوسرل و هايدغر نجده بارزاً في الخطاب النقدي الذي بلورته مدرسة فرانكفورت النقدية باختلاف أجيالها، والتي استهدفت بدورها نقد التقنية بوصفها عامل أساسي من عوامل الأزمة للحداثة الغربية انطلاقا من جيلها التأسيسي مع كل من ماكس هوركهايمر (**Max. Horkheimer** 1895-1973)، تيدور أدورنو (**Théodore Adorno 1903-1969**)، هربرت ماركيوز (**Herbert Marcuse**

[1] محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر هايدغر ، مرجع سابق، ص 550.

1898-1979) وكذا يورغن هابرماس، (Hbermas Jurgen 1929-) إن علاقة التأثير والتأثر بين الآجيال الفكرية عامل مهم ساهم في بلورة خطابات نقدية رافقت مشروع الحداثة ومابعدها ضمن سيرورة موازية من حيث فعل التأسيس والتجاوز، وهنا أمكن التأكيد على أن الفلسفة النقدية لدى هوسرل وهايدغر تمثل حلقة ومرجع أساسي في خطاب النقد للحداثة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إدموند هوسرل الفلسفة علما دقيقا،ترجمة وتقديم محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة،2002.
2. إدموند هوسرل، فكرة الفينولوجيا، ترجمة فتحي انقزو،،مركز الدراسات للوحدة العربية بيروت،الطبعة الأولى.
3. إدموند هوسرل،أزمة العلوم الأوروبية و الفينمنولوجيا الترنسندنتالية،ترجمة،إسماعيل مصدق، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
4. إدموند هوسرل الفلسفة علما دقيقا،ترجمة وتقديم محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة،2002.
5. مارتن هايدغر، كتابات أساسية، ترجمة إسماعيل مصدق،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
6. مارتن هايدغر، التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة، محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان.
7. ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة 1992.
8. أشرف حسن منصور،انطولوجيا الوجود الإنساني بين هيغل و هايدغر،مجلة أوراق فلسفية،العدد 18
9. أفاية محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس،إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى،1991.
10. د،كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز الحكمة، الجزائر.
11. د،كمال بومنير،النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى آكسيل هونيث، منشورات الاختلاف،الجزائر، الطبعة الأولى،2010.
12. د،محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.
13. محمد الشيخ و ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، دار الطليعة للطباعة النشر – بيروت، 1996.
14. مجموعة مؤلفين، حوار الفلسفة والعلم سؤال الثابت والمتحول،منشورات الاختلاف،ضفاف الأمان،الجزائر،الطبعة الأولى،2012.
15. صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان،بدون طبعة، 1990.
16. د،كمال بومنير،أزمة العلوم ومفارقة العقلانية بين إدموند هوسرل والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت،مجلة أوراق فلسفية،العدد35.
17. عبد الحليم عطية وآخرون، ليوتار والوضع مابعد الحداثي،دار الفارابي للنشر والتوزيع.
18. جاك إلول، (علاقات العلم بالتقنية) مجلة، يتفكرون، العدد1، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، 2013 .
19. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دون طبعة، 2004

المراجع الأجنبية:

20. Edmund Husserl , la crise des siennes européennes tradition par Ricœur-Ed Abien-paris, 1977.

21. Mark Le Ny, découvrir La Philosophie contemporaine, Groupe Eyralles61,bd Saint_Germain.